دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	لغة الصحافة
المصدر:	مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة
الناشر:	مجمع اللغة العربية
المؤلف الرئيسي:	عبدالقادر، محمد زكي
المجلد/العدد:	ج 47
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1981
الشهر:	رجب / مايو
الصفحات:	153 - 162
رقم MD:	245527
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	الصحافة الحزبية، الصحافة الأدبية، لغة الصحافة، الصحف المصرية، اللغة الفحصى، الأخطاء اللغوية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/245527

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

لغة الصحافة

للأستاذ محمد زكي عبد القادر

في الأربعينيات من هذا القرن اعترض رئيس إحدى الحكومات — وكانت الرقابة مفروضة على الصحف — على مقال نشر في إحدى الصحف ولما ناقشه كاتب المقال فيما يعترض به عليه ، ولم يكن في المعنى الظاهر لما كتب باب للاعتراض ، ولكن رئيس الحكومة ألغى من وجهة نظره أبوابا عديدة للاعتراض ، رد عليها الكاتب ردودا مقنعة ، أوقعت رئيس الحكومة في حيرة من أمره ، ولكنه زم شفتيه وعقد مابين حاجبيه وقال متوعدا أو شبه متوعد : وما بين السطور ، وماذا تقصد مما بين السطور؟ وماذا تقول فيه؟

جاب الكاتب أنه مسئول فقط عن المعنى الظاهر ، أما مابين السطور ، إذا كان هناك مايمكن أن يسمى بين السطور ، فإنه غير مسئول عنه ، لأنه نية مضمرة لادليل عليها . والإنسان لايؤخذ إلا بالبين من قوله وليس بالمستور من نيته .

قال رئيس الحكومة : أناعارف بنيتك .

قال الكاتب : ليس لدى ما أعترض به عليك ، وأنت تعرف أنه ليس لدى أية انتماءات حزبية .

قال رئيس الحكومة : لعله ليس حبا لعلى ولكن كراهة لمعاوية .

قال الكاتب : ولماذا أكرهك ، وأنا لم ألقك في حياتي سوى مرة أو مرتين ، ولم تقع بيننا مشادة أوخلاف في الرأى ؟

وعاد رئيس الحكومة إلى « ما بين السطور » وقال : ولكن ما بين السطور ، ماذا تقصد به ؟

— هل تسألني عن قصد لما أنكر وجوده أصلا ؟

— أنت تتلاعب باللفظ والكلمة ، أنا كاتب وأنا أعرف الأساليب الملتوية .

ولمح رئيس الحكومة من طرف خفي أن الأحكام العرفية لاتزال قائمة .

وفهم الكاتب ، أو لم يفهم ، المقصود من هذا التلميح ، ولكن هكذا كان الجو الذى ساد الصحافة المصرية في فترات عديدة من الفترات التي قيدت فيها حريتها ، مما جعل لغتها متهمة وكأنها تسير على الصراط ، تقول ماتكتب وتعنى غير ماتقول وتكتب .

(*) ألقى البحث في الجلسة العاشرة من جلسات مؤتمر الدورة السابعة والأربعين (السبت أول جمادى الأولى ١٤٠١ هـ ، الموافق ٧ من مارس ١٩٨١) .

وقد أثر هذا وذاك على لغتها حتى بعد أن رفعت الرقابة عنها فى الفترات القليلة التى كانت ترفع فيها الرقابة . . والإنسان إذا اعتاد الرقابة اعتاد الاستخفاء ، وأصبح الناس يقرأون الصحف ويسألون كما سأل رئيس الحكومة عما بين السطور .

وأصبح البحث عما بين السطور هو هدف القارىء كما كان هدف الذين يراقبون الصحف ويتعقبونها ، وترتب على هذا وذاك أن اهتزت ثقة القارىء فى الصحف وفقدت عنصرا أساسيا من عناصرها الأساسية وهى الإبانة والوضوح . . وانسحب عدم الثقة من عالم السياسة إلى غيرها من العوالم ؛ فأصبح من الذائع بين الناس أن يصفوا ماتكتبه الصحف وتذيعه بأنه كلام جرايد ، تميزا له عما عداه من الصدق فى القول والرأى وهو أصلا جوهر الكتابة وواجب الكاتب .

ووقع فى فترة أخرى حوار بين رئيس الحكومة وبين الكاتب نفسه . . وطال الحوار والجدل بينهما ثم انتهى بأن قال رئيس الحكومة للكاتب : « أنا عرفت دلوقت قصدكم . . أنتم عايزين الإنجليز يجيبوا النحاس على الدبابات » .

وقال الكاتب إن ماجرى بيننا من حوار لايؤدى إلى هذا المعنى . وكان فعلا لايؤدى إليه ، ولكنه كان دليلا على أن اللغة التى يتكلم بها الحاكمون تختلف عن اللغة التى يتكلم بها الصحفيون والكتاب وأصحاب الرأى .

هل يمكن القول إذن بأن الرقابة على الصحف كان لها تأثير خاص على لغتها ؟

بالقطع كان لها تأثير هو الاستخفاء والغموض وتحميل الكلمات والعبارات أكثر مما تحتمل أو أقل مما تحتمل طبقا للغرض الخفى وهو الهروب من القيد أو التحايل عليه .

على أنه يمكن القول إنه أثر وقتى يزول بزوال الرقابة ، ولكن الصحيح أيضا أن الاعتياد على القيد والخوف منه يظل قائما فترة تالية من الوقت ، ويطبع اللغة بطابع خاص ، وهو ماحدث ولعله لايزال .

ولكن لغة الصحافة لها تاريخ طويل قديم . فإن لغة الصحافة هى تاريخ الصحافة . وتاريخ الصحافة هو تاريخ الشعب الذى ننتمى إليه ونكتب باسمه . وفى هذا المجال تحضرنى كلمة نسبت إلى توماس جفرسون أحد البناة الأوائل للولايات المتحدة الأمريكية هى قوله : « لئن خيرت بين صحافة من غير حكومة أو حكومة من غير صحافة لآثرت الأولى على الثانية » .

وقول الصحفى الإنجليزى شويدان : « خير أن تكون بغير برلمان من أن تكون بغير صحافة حرة . وإنه من الأفضل أن نحرم من المسئولية الوزارية ومن الحرية الشخصية ومن حق التصويت على الضرائب ولانحرم من حرية الصحف ، فنحن بها نستطيع

— إن عاجلا أو آجلا — أن نستعيد جميع الحريات الأخرى » .

والصحافة المقصودة هنا هى الصحافة التى تصدق فى التعبير عن الشعب ، إرادته وميوله واتجاهاته وتطوره فى آفاق المستقبل المنظور وغير المنظور ، ولا يمكن أن يوجد فى الصحافة تعبير صادق بغير حرية حقيقية كاملة وكذلك لا يمكن أن يوجد أسلوب مشرق صريح ذو دلالة وفيه تحفز وانطلاق إلا فى جو من الحرية ، فهى قرينة الصحافة وجوهر وجودها وكيانها .

وكما أن الصحافة تلخص تاريخ الأمة ، فإن لغتها تمثل تطور هذه اللغة ارتفاعا وهبوطا ، نصاعة وغموضا جرأة ومخاطرة ، انطلاقا وانكماشا .

وقد اصطدمت الصحافة منذ وجودها بالسلطة الآمرة فى الدولة فإن الصحافة بطبيعتها تنشد الحرية فى التعبير ، فى النقد والتوجيه ، فى القدرة على الإبانة عن إرادة الأمة ومتطلباتها ، بينما السلطة الآمرة بطبيعتها تجنح إلى التدخل تخفيفا لتعبير جارح أو حذفا له أو نقدا فيه إيحاء بالتغيير ، رغبة فى إبقاء الحال على ماهو عليه . فالصحافة تريد أن تكون دائما عينا مفتوحة ترى كل شئ ، والسلطة تريد ألا تكون هذه العين مفتوحة ترى وكأنها لا ترى ، تحس وتكتم إحساسها فلا تعبر عنه .

ومن هنا نشأ ما عرف بقوانين الصحافة والنشر فى البلاد شرقا وغربا وهى قوانين خاصة بحرفة الصحافة وحدها ، فلا مثيل لها فيما يتعلق بسائر الحرف والصناعات ، وذلك لأنها وثيقة الاتصال بالشعب والرأى العام ، وهى فى الحياة الديمقراطية فى هذا العصر صاحبة السلطة والقدرة على إقامة الحكم وتثبيته أو هزه وإضعافه .

وكلما زاد نفوذ الشعب والرأى العام ازداد نفوذ الصحافة وعلت كلمتها ، وكلما قل هذا النفوذ قل نفوذ الصحافة وضمر أو انمحى تماما .

والسلطة قسمة بين هذين المحورين : الحكومة والصحافة ، ما ينقص فى جانب يضاف إلى الجانب الآخر . . والصحافة تستمد سلطتها من الشعب ولذلك خافها المستبدون من الحكام ، وآخاها الديمقراطيون منهم .

قال تولستوى : إن الصحف نفير السلام وصوت الأمة وسيف الحق القاطع ومجيرة المظلومين ، فهى تهز عروش القياصرة وتدك معالم الظالمين .

وقال فولتير : الصحافة آلة يستحيل كسرها وستعمل على هدم العالم القديم حتى يتسنى لها أن تنشىء عالما جديدا .

وقال القيصر نقولا الثانى : جميل أنت أيها القلم ولكنك أقبح من الشيطان فى مملكتى .

وقال دياز رئيس جمهورية المكسيك : وددت لو كنت أملك معامل الورق والحبر ، إذن لأحرقتها جميعا .

وقال السلطان عبد الحميد بعد خلعه : لو عدت إلى يلدز لوضعت محررى الجرائد كلهم فى أتون من الكبريت .

وقال أمير الشعراء شوقى :

لـكلِّ زمانٍ مضى آية
وآية هذا الزمان الصحف

وقال بول فاليرى الأديب الفرنسى : إن الإنسانية فى مجموعها لا تقرأ اليوم غير الصحف وإن تحليل جريدة وغربلتها غربلة جيدة تعد فى ذاتها رياضة على جانب كبير من الفائدة والقيمة وإن الغذاء العقلى للجنس البشرى بعد الآن فى مطابع الصحف .

وليست قيمة الصحف أنها أداة سياسية فحسب ، فإنها أيضا من أقوى وسائل التثقيف والتربية للشعب .

وقال أوسكار زانشتبى ، وكان يدرس الصحافة فى جامعة زيورخ : إن أغلب المثقفين لا يقرأون سوى الصحف .

وسئل رجل عن صنعته فقال : أستاذ مؤدب ، فقيل له : كيف تقول ذلك وأنت تصدر صحيفة ؟

فأجاب : إننى رأيت الناس لا يرسلون أولادهم إلى المدرسة ، فأرسلت المدرسة إلى أولادهم .

على أن الصحافة لم تبلغ ما بلغت من مقام فى هذا العصر إلا بعد تطورات عديدة مرت بها . فكانت فى أول نشأتها صحافة أخبار قبل كل شىء . ثم أخذ اهتمامها يزداد فيكاد يشمل كل شىء ، فأصبحت صحافة إعلام وتثقيف وسياسة واقتصاد ولهو وتسلية وتوجيه وإرشاد .

ووقع مثل هذا التطور فى مصر خاصة وفى البلاد العربية عامة .

وانقسمت الصحافة إلى صحف خبر وصحف رأى . ومع تعدد الأغراض وتطور المجتمع ، أصبحت الصحافة تعرض لكثير من الشئون والاهتمامات .

وإذا قلنا إن للصحافة لغة خاصة بها ، فإنها وقد تعددت أغراضها واهتماماتها أصبحت لها لغات متعددة ، ولكنها جميعا تصدر عن اللغة الأم وترتد إليها وتأخذ المعين منها . هناك لغة للصحافة السياسية اليومية ولغة للصحافة الأسبوعية ولغة لصحافة الاقتصاد والعلوم والتسلية والفكاهة والزجل والشعر والأدب .

إلا أن الفروق بين هذه اللغات المتعددة فروق طفيفة ترجع إلى اختلاف الاهتمامات واختلاف التعبير .

وقد لا يوافق البعض على هذه التفريعات ويقولون إنها لغة واحدة هى اللغة العربية ، وهو اعتراض له ما يبرره ويؤكده ، ولكن له أيضا ما يعترض به عليه . فليس معنى تعدد اللغات أنها تبتعد عن اللغة الأم ، ولكن معناه أن وسائل التعبير تأخذ خصوصيتها من طبيعة الاهتمام بكل نوع

من هذه الصحف فهى أشبه بالأبناء الذين انحدروا من صلب واحد وتربوا فى رحم واحد ، فلما خرجوا إلى الحياة تعددت اهتماماتهم ومسالكهم . إلا أن هذا التعدد والانقسام لا ينفى ولا يضعف ولا يقلل من أنهم اشتركوا جميعا فى نشأة واحـــدة وانتموا إلى أصل واحد .

والصحف بطبيعتها ترمى إلى الاستكثار من القراء ، لكنها هى وسيلة التخاطب بين صناعها وبين القراء،وفرق بين لغة تخاطب الكافة وتريد أن تصل إلى أكبر عدد منهم وتعالج سائر شئونهم وشكاواهم ومطالبهم وأسباب لهوهم والتسرية عنهم وبين لغة الأدب مثلا التى تعالج فنونه وتخاطب عددا من الناس ذوى ميول معينة .

ويمكن تحديد الفروق بين لغة الأدب ولغة الصحافة فى أن الصحفى هو عين القارئ على العالم ، والأديب هو عين نفسه . الصحفى متعجل تسوقه الحوادث والأديب متأن يتأمل الحوادث . الصحفى يفشل إذا فاتته الحوادث والأديب يفشل إذا لم يحسن الانفعال بالحوادث .

غاية النجاح للصحفى أن يسبق الحوادث وغاية النجاح للأديب ألا تفوته دلالتها .

والصحفى مصور بآلة فوتوغرافية سريعة اللقطات ، والأديب رسام بالزيت والماء يسجل الملامح والقسمات .

الزمن والصحفى كلاهما يطارد صاحبه وهو للأديب متئد ، ينضج عمله ويعمق فهمه ويهديه الصواب .

وعمل الصحفى يتمزق كل يوم ، وعمل الأديب يخلد على الأيام .

عين الصحفى فى المقدمة وقلبه ووجدانه فى خلف الصورة .

أما عين الأديب فترى بالقلب والوجدان .

إذا قلت الحوادث أو انعدمت نضب المعين الذى يأخذ منه الصحفى .

ولكن قلة الحوادث أو انعدامها بالنسبة للأديب ترده إلى نفسه ووجدانه وهما عالم بغير حدود .

الصحفى مردد ، مقلد ، ناقل . والأديب متأمل ، خالق ، صانع .

الصحفى تحيط به الأضواء الباهـــرة ولكنها سرعان ما تنطفىء إذا انتهت حياته أو نشاطه .

والأديب تحف به شعلة خافتة تمتد عبر القرون فى وهج أخاذ تزداد أصالته بمضى الزمن وكأن صاحبها لم يمت .

والأديب يعيب على الصحفى تعجله وسرعته وخطفه للأمور خطفا .

والصحفى يعيب على الأديب تمهلـــه وحبوه .

الصحفى أرنب والأديب سلحفاة .

الأول يقفز لأنه والزمن فى سباق .

والثانى يحفر الأرض بأظافره لعل السر فى باطن غير منظور ولعل الشعلة تكمن فيه .

الأول يحترق بالسرعة والثانى يخلد بالبطء .

ولكنهما وجهان عن حياة متعددة الوجوه لا غنى لأحدهما عن الآخر .

يمنح الصحفى الأديب بعض الخامة التى يصوغ منها الجمال والدر .

والأديب يمنح الصحفى كما يمنح الناس كافة متعة النظر المتأنى والبصيرة النافذة والوجدان الهابط إلى الأعماق . المرتفع إلى عنان السماء ، يحيط بالكون ويصدر عن ظواهره ، وخوافيه .

الصحفى يعطيه خامة فجة خشنة فيردها إليه الأديب متوهجة متلألئة كالذهب يعطى إلى الصانع الماهر فيبدع منه الأشكال والرسوم .

كيف ، وهذا هو الفرق بين الأديب والصحفى ، ألا تكون لكل منهما لغة خاصة ؟

وكيف لا تكون ومن هدف الصحفى أن يبلغ بلغته كل العقول والأفهام وكل الطبقات والمستويات ومن هدف الأديب أن يبلغ بلغته الضمير والوجدان ؟

إذا قلنا إنها لغة واحدة كنا على حق ؛ فهذا هو الواقع وهذا هو الصحيح .

وإذا قلنا إن لكل منهما لغة خاصة به ، كنا على حق ؛ فهذا هو الواقع وهذا هو الصحيح .

ولكنها آخر الأمر لغة واحدة ترتد إلى أصول واحدة .

و قد ولدت الصحافة فى رحم اللغة حينما كان البيان والإفصاح والزهو باللغة ومعرفة أسرارها غاية النجاح للصحفى كما أنها غاية النجاح للأديب .

بدأت الصحافة فى أول نشأتها فى مصر وكأنها الحظية الأولى للغة والأدب . . حينئذ كانت الصحف تنشر فى أبرز مكان فيها وفى أهم صفحاتها ، فى الصفحة الأولى قصائد شوقى وحافظ ، وكانت تنشر المساجلات والبحوث الأدبية الخالصة أيضا فى أعز مكان فيها ، أعز من الأخبار ذاتها .

ثم أخذت الصحافة تفترق عن الأدب شيئا فشيئا ، أخذت تبتعد عن الأدب شيئا فشيئا ، أخذت صناعة لها خصائص معينة وأهداف معينة .

وشيئا فشيئا أخذت لغة الصحافة المتميزة تقفز إلى الصف الأول ، وأخذت لغة الأدب تتراجع شيئا فشيئا إلى الصف الثانى .

وأصبح لدينا سواء أردنا أو لم نرد لغة للصحافة ولغة للأدب ، وما يقال فى هذا المجال يقال عن صحافة الفن والترفيه والصحافة العلمية والاقتصادية . . إلخ .

ولا قيمة للصحافة — كما سبق أن قلنا — من غير قراء فهدفها أن تستكثر منهم ، فإن قيمتها فيهم وسلطانها مستمد منهم وأداء

مهمتها متوقف عليهم . وكى تبلغ من القراء ما تريد وتستطيع لابد أن تكون لغتها وأساليبها فى متناول الكافة والأوساط من الناس، مما يفرض عليها فى بعض الأحيان الخروج على مقتضيات اللغة ، أو لا يجعلها تلقى إليها البال الذى ينبغى أن تلقيه إليها .

وللغة الصحافة مقياس تعتمد عليه ونجعل له التقديم على غيره ، فلا بد أن تكون لغتها مفهومة عند أكبر عدد من أفراد الشعب شرط ألا تنحط إلى مستواهم ، فلا بد أن تكون مرتفعة قليلا عن هذا المستوى ، لأن القراء يريدون أن يقرأوا فى الصحيفة ما هو أعلى من مستواهم . ولكن لا بد من مراعاة هذه النسبة مراعاة دقيقة ، فإن هذا الارتفاع محكوم بألا يجاوز الحد الذى يجعلها مفهومة فإذا جاوزه تعرضت لخسارتهم وانفصالهم عنها .

ومن هنا يتبين أن ارتفاع مستوى اللغة فى الصحافة محكوم بما عليه القراء من ثقافة وتعليم ، فكلما زادت ثقافتهم وزادت درجة تعليمهم ارتفع مستوى اللغة فى الصحف بالنسبة نفسها واقتربت لغة الصحافة من اللغة الصحيحة وربما جاوزته فاقتربت من لغة الأدب.

إلا أنها حتى ولو بلغت هذه المرحلة ، فلابد أن تبقى للأدب خصائصه وللغة الصحافة خصائصها .

ولا يدعو ارتفاع مستوى الثقافة والتعلم لدى القراء إلى تحسين لغة الصحافة وارتفاع مستواها فحسب ، ولكنه يؤدى أيضا إلى ارتفاع مستوى المعلومات والتعليقات التى تنشرها الصحف، بل وأن يرتفع أيضا مستوى الصدق فى التحليل والتعليق .

وهكذا نجد أن العلاقة بين لغة الصحافة وبين القراء علاقة وثيقة مؤكدة ، تأخذ منهم وتعطى ، وتثرى لغتها ومن ثم تثرى اللغة العربية ذاتها .

وقد لعبت الصحافة دورا خطيرا فى تطوير اللغة وأساليبها ، وفى خدمة الأدب والأدباء وخدمة الاقتصاد والاقتصاديين والقانون ورجال القانون ، وإذا شئنا الاستطراد قلنا إنها لعبت مثل هذا الدور فى سائر المعارف والعلوم ، فقد كانت أشبه بالرائدة فى حقول مجهولة ، فمهدت الطريق لكثير من الألفاظ والمصطلحات حتى ذاعت على كل لسان .

وهى أجدر وأقدر أن تقوم بهذه المهمة بطبيعة ظهورها المتكرر فى مواعيد معروفة وطبيعة اهتمامها بالأخبار والتعليقات والحوادث وطبيعة امتزاجها بالأفراد وتأثرها بهم وتأثرهم بها .

وقد حفلت السنوات الأخيرة بتطورات كبيرة وعميقة فى العلاقات الدولية والصراع الحزبى والوطنى ، وكانت سببا فى نشوء تغيرات جديدة صقلها الاستعمال فأصبحت ذائعة ومقبولة ومعروفة وذات دلالة متعارف عليها ولا ترفضها اللغة الفصحى .

وكانت الصحافة المصرية الحديثة منذ انتظامها وقيامها كمؤسسة ذات تأثير وخطر فى أواخر القرن الماضى وبداية هذا القرن تعتمد فى تحريرها على العارفين باللغة العربية المتمرسين بأساليبها وأسرارها من خريجى الأزهر وسائر المعاهد ذات الطابع الدينى اللغوى . وكانت لغتها متأثرة بصورة واضحة بالأسلوب الأدبى المشرب بالروح الدينية . فكانت المقالات والشذرات والتعليقات لا تخلو من الاستشهاد بأبيات من الشعر أو أبيات من القرآن والأحاديث النبوية ، حافلة بالسجع والإفاضة والتكرار والمحسنات اللفظية دون احتفال كبير بالمعانى ، وكانت فى هذا العصر ضحلة ، ليست بالعمق الذى أصبحت عليه فيما بعد .

وكانت مصر حينئذ تكافح المحتل وتحاول إجلاءه عن أرضها ، فاتفق الغرض مع أسلوب التحرير ، فكانت الحماسة والاندفاع والفدائية والتضحية هى المسيطرة على الأفكار والتحركات والنزعة الوطنية .

وفيما عدا الشيخ على يوسف صاحب المؤيد ومصطفى كامل صاحب اللواء ولطفى السيد محرر الجريدة كان أكثر المشتغلين بالصحافة من هذا الطراز الذى أشرنا إليه .

والصحافة حينئذ لم تكن حرفة مربحة ولا مربحة ، وإنما جذبت من جذبت إليها من كبار الرجال ممن ذكرنا لأسباب سياسية ووطنية دون اعتماد للصحافة من حيث هى حرفة تتطلب معرفة معينة واستعدادا معينا .

وكانت هذه هى المرحلة الأولى التى مرت بها الصحافة المصرية ، وهى مرحلة اختلطت فيها الصحافة بالوطنية ، واختلطت لغتها بالأدب والدين والمثل الخلقية والدينية . ولم تظهر الصحافة كحركة مستقلة لها خصائصها ومقوماتها فى بلد محتل جل همه أن يتخلص من المحتل وأن يصبح ذا كيان مستقل .

وكانت الأحزاب حينئذ هى : حزب الإصلاح والمتحدث باسمه هو الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد .

والحزب الوطنى والمتحدث باسمه مصطفى كامل وجريدة اللواء .

وحزب الأمة والمتحدث باسمه لطفى السيد فى الجريدة .

وكان الافتراق بين هذه الأحزاب يمثل التيارات السياسية حينئذ .

ومن حيث لغة هذه الصحف الثلاث يمكن القول إن الجريدة لسان حال حزب الأمة كانت أكثرها تجديدا ومسايرة للعصر وأقربها إلى لغة الصحافة بحسبانها لغة تفترق إلى حد ما عن لغة الأدب .

على أن هذا الافتراق لم يكن واضحاً تماماً ، ولكنه كان إرهاصاً لما حدث بعد ذلك .

ثم قامت ثورة سنة ١٩١٩ ، وأقام الوفد حزباً شعبياً واسع التأثير فى الجماهير ،ومع صدور دستور ١٩٢٣ بدا أن لغة الصحافة تدخل مرحلة جديدة ، وأخذت تتميز فى أسلوبها عن الأسلوب القديم ، بقيام الصحف الحزبية والصراع الحزبى والحوار الحزبى بما ساده من تحمس وانتماء شديد كل إلى الحزب الذى يناصره .. وكان الوفد هو الحزب الذى يستولى على مشاعر الجماهير ، فوقعت بينه وبين الأحزاب الأخرى صراعات عديدة ، واتهامات عديدة .

واتسمت لغة الصحافة فى هذه المرحلة بالشدة والعنف وإيثار اللغة الحادة وانحطاط مستوى الحوار الحزبى فى بعض الأحيان إلى درجة لايمكن قبولها ولا التسامح فيها ، ولكنها من جانب آخر أدخلت فى اللغة بعض المصطلحات والعبارات والألفاظ ، كانت جديدة ، لا على اللغة فحسب ، ولكنها كانت جديدة أيضاً على لغة الصحافة .

وتأكد وجود الصحافة الحزبية ؛ فإلى جانب الأحزاب التى عرفتها مصر فى أوائل هذا القرن كانت ثورة ١٩١٩ بالتطورات التى مرت بها حتى صدر الدستور وجرت الانتخابات وانعقد مجلس النواب ومجلس الشيوخ ، فصدرت البلاغ وكوكب الشرق والجهاد وغيرها من الصحف والمجلات مؤيدة للوفد ،وجريدة السياسة معبرة عن رأى حزب الأحرار الدستوريين ، وكانت امتداداً لحزب الأمة أو على الأقل كان مؤلفاً فى أكثر زعمائه من زعماء حزب الأمة القدامى ، وصدرت فيما بعد جريدة الاتحاد معبرة عن حزب عرف بأنه حزب الملك .

ثم أبرمت معاهدة سنة ١٩٣٦ ، فانتقلت مصر إلى مرحلة جديدة ، وكذلك انتقلت صحافتها إلى مثل هذه المرحلة الجديدة . إذ بدا أن العلاقات بيننا وبين الدولة المحتلة بلغت نقطة توقف أو نقطة استرخاء ، ثم بدت بوادر الحرب العالمية الثانية ، فامتزج إبرام المعاهدة بهذا الحادث الخطير وهو قيام الحرب العالمية .

وكان صدور دستور ١٩٢٣ ، والأعمال التحضيرية التى سبقت صدوره والتمهيد لإجراء الانتخابات لأول مجلس نيابى فى مصر ، فرصة حفلت فيها الصحافة بأبحاث ومقالات وانتصارات ومساجلات حول حرية الصحافة وسلطة الأمة وسلطة الملك .

وكانت ديباجة الدستور أولى هذه المناسبات التى أثارت ما أثارت من مساجلات واعتراضات ، فقد جاء فيها مايشعر بأن الدستور يجىء منحة من الملك ، وجاء فيه أيضاً أن الأمة مصدر السلطات ، فكيف يستقيم هذا النص مع القول بأن الدستور منحة من الملك .

ومن مفاخر الصحافة المصرية هذه المساجلات التى بلغت من الدقة والعمق

مابلغت، وبلغت من الاعتزاز بالحرية والانحياز إلى سلطة الشعب ما بلغت ؛ وبذلك ابتعدت الصحافة خطوة أخرى عن الأساليب الأدبية اللغوية ، إلى الأبحاث القانونية والدستورية وجال فيها رجال القانون والاقتصاد والسياسة والدستور .

وبدا أن الصحافة أصبحت حرفة لها مقوماتها وخصائصها ورجالها وما ينبغى أن يكون لهم من علم ومعرفة بسائر العلوم والفنون وليس مجرد الإلمام باللغة والتفوق فيها .

وزاد توزيعها وزاد اهتمام الناس بها ، وتنوعت موادها وقفزت إلى الصف الأول ، مهنة متميزة ، وجنحت لغتها إلى الإيجاز والاقتصاد فى الإطناب والأوصاف ، والابتعاد عن التطويل .. وبعد أن كانت المقالات الافتتاحية تميل إلى الطول بحيث كانت المقالة تجاوز العمودين ، فيها الكثير من التكرار والإعادة والتأكيد ، أصبحت تميل إلى القصر والإيجاز .

وبعد أن كانت الصحف تكثر من المقالات ، أصبحت تميل إلى الإكثار من الأخبار والعناية بها ، وتنوعت الموضوعات التى تعالجها ، فأصبح الاقتصاد له مكان فى صفحاتها ، والعلاقات الدولية والسياسة العالمية لها مكان أيضاً ، ثم تدرجت فجعلت للمسرح والسينما ، ثم لما ظهرت الإذاعة وتلاها التليفزيون أصبح لكل منهما باب أو زاوية أخذت تتدرج فى الزيادة والأهمية بتدرج أهمية كل منها وإقبال الناس عليها، كما أصبح للرياضة اهتمام خاص .. أخذ هو الآخر يزيد شيئاً فشيئاً حتى أصبح مادة أساسية من مواد الصحافة .

وكان لكل هذا أثره فى تضييق المجال أمام المقالات ، وعدلت الصحف عن المقالات الطويلة والعناية بالأدب ، فحصرته فى مجال معين يظهر كل أسبوع .

وكان الظن بعد إبرام معاهدة سنة ١٩٣٦ أن يهدأ الصراع الحزبى خاصة وأن المعاهدة وقع عليها ممثلون لكل الأحزاب الكبيرة ، ولكن تطور الحوادث بعث فى الحياة الحزبية الدفعة من جديد ، وبعد أن كان هذا الصراع قائماً على العلاقة بيننا وبين الإنجليز أصبح قائماً على تطبيق شروط المعاهدة واقتراب خطر الحرب العالمية الثانية ، بما ينطوى عليه هذا وذاك من التزامات مصر طبقاً للمعاهدة، وتحديد موقفها من الحرب، وهل تنحاز إلى صف الحلفاء أو تقف على الحياد . . ومن خلال هذا وذاك تركزت المعركة على الدستور وحرية الصحافة وسلطة الملك والشعب .

محمد زكى عبد القادر

عضو المجمع